الإنسان بين الواجبات والحقوق الأسرية وفق نصوص الكتب السماوية

The human between family right and duties according to the text of the biblical religions

عثماني رشيد[1]
جامعة الجزائر 1
Otmanirachid08@gmail.com
رحماني سعيد
جامعة المسيلة
Said.2010@gmail.fr

تاريخ الوصول 2021/06/28 القبول 2021/07/23 النشر على الخط 2021/11/30
Received 28/06/2021 Accepted 23/07/2021 Published online 30/11/2021

ملخص:

من الأمور التي حرصت الديانات على تنظيمها هي علاقات الناس فيما بينهم، وإن كانت حقوق الناس على بعضهم البعض تختلف حسب المكانة والقرابة، ومن أكثر الناس قرابة بين البشر الآباء والأبناء، وقد عنت بهذا الموضوع الديانات الكتابية عناية كبيرة، ففي اليهودية والمسيحية والإسلام على السواء، نجد بيانا لمسئولية الآباء اتجاه أبنائهم، حيث يتوجب عليهم تربيتهم تربية دينية وبدنية وعقلية، والتكفل بشؤون معاشهم إلى غاية بلوغ سن التكليف الذي حددته كل شريعة، وفي هذه المرحلة يؤمر الأبناء بكل الأوامر الدينية التي تُحدد انتمائهم وهويتهم، وبعد الكبر ينتقل الواجب من الآباء إلى الأبناء، حيث يُلزم الأبناء بحسن الاستماع لآبائهم وطاعتهم في ما لا يخالف الشرع، توجب الاعتناء بالوالدين كرد جميل لهم، ويُحرم على الأبناء إدايتهم بأي شكل من أشكال الأذى المادي أو المعنوي، وشددت الديانة اليهودية العقوبة في حق من يضرب والديه ويعتدي عليهم، حيث حكمت عليه بالموت، وأوجبت الديانة الإسلامية الاستمرار بالإحسان للوالدين حتى بعد وفاتهما.

الكلمات المفتاحية: الوالدين؛ الأبناء؛ حق؛ واجب؛ دين.

Abstact :

Among the things that religions have been keen to organize are the relationships of people among themselves, although the rights of people to each other differ according to status and kinship. in between people most related to human beings are fathers and children, and the biblical religions have taken great care in this matter In Judaism, Christianity and Islam alike, we find a statement of the responsibility of fathers towards their children Where they are required to educate them religiously, physically and mentally, and take care of the affairs of their livelihood until reaching the age of mandate determined by each Sharia At this stage, the children are commanded with all religious orders that determine their belonging and identity After adulthood, the duty is transferred from parents to children, as children are obligated to listen carefully to their parents and obey them in a manner that does not contradict Sharia .Parents must be taken care of as a beautiful response to them, and children are forbidden to harm them in any form of material

Keywords : Parents ; children ; rights ; duty ; religion

[1]– المؤلف المرسل: عثماني رشيد البريد الإلكتروني: Otmanirachid08@gmail.com

مقدمة:

تُعتبر العديد من الأفكار والفلسفات والقيم الدينية مبادئ إنسانية، يشترك فيها كل البشر على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم؛ فالأديان الكتابية تتفق على أن أصل الإنسان إنسان من أبوين بأصل إنساني، وبأن البشر جميعا يشتركون في تنشئتهم وإيجادهم من أبوين ينتهي أصل المبدأ إليهما، ثم تختلف أراء البشر بعد ذلك في قراءة اختلاف الأجناس والأعراق على حسب المعتقد والانتماء، أضف إلى ذلك الاعتراف بأن المخلوقات كلها ناشئة عن تزاوج زوجين، والشأن ذاته بالنسبة للإنسان الذي كان وجوده تزاوج والديه، لا يُستثنى من هذه القاعدة إلا أهل الإعجاز الإلهي آدم وعيسى عليهما السلام ، فالإنسان يخرج إلى عالم الدنيا رضيعا صغيرا لا حول له ولا قوة، لا يعلم من شؤون دنياه شيئا، ولا قدرة له على شيء، فيكفل الله له أبوين من أب وأم، أب يسعى من أجل كسب قوته، وأم تتكفل برعايته وإطعامه والقيام بشؤونه كلها، إلى أن يشب ويصير قادرا على مزاولة أموره بمفرده، ثم بعد أن يصير قادرا على المشي والحركة ، يكون لا زال طفلا صغيرا لا طاقة له على الكسب والسعي في الأرض، فيواصل أبوه في السعي من أجله، ويكون كذلك في حاجة لعطف وحنان، فتواصل أمه احتضانه والحنان عليه، فيكون تحت جناح والديه لا يستطيع الاستغناء عنهما، ثم يصير الإنسان رجلا أو امرأة يافعا كبيرا قادرا على السعي والعمل، فيتزوج وينجب ويبني أسرة ويصير مسؤولا على نفسه.

لكن بعد أن يكبر الإنسان، هل تنقطع علاقته وصلته بأبويه لانقطاع احتياجه إليهما والاستغناء عنهما؟ أم أنه توجد علاقة تجمع الإنسان بوالديه بعد ترعرعه وكبره؟ هل تنظر الأديان الكتابية لعلاقة الآباء مع أبنائهم علاقة مصلحة تنتهي بانتهاء المصلحة، أم هناك علاقة أسمى وأرقى تدعو إليها الديانات الكتابية؟

تهدف هذه الدراسة إلى بيان حقوق وواجبات كل من الآباء والأبناء على بعضهم البعض، عند أصحاب الديانات الكتابية؛ ليست الحقوق حقوق مدنية بنص القانون، ولكنها حقوق وواجبات دينية بنصوص دينية مستنبطة من الكتب المقدسة، مع محاولة تنزيلها على الواقع المعاش الذي يعيشه أصحاب الديانات الكتابية، تنزيلا لهذه الحقوق والواجبات حضورا وعدما.

تكمن **أهمية الموضوع** في تثبيت وتناول قضية مهمة في موضوع الأديان، وهي موضوع الأخلاق والفضيلة، فالديانات الكتابية زاخرة بالنصوص الأدبية الأخلاقية التي تنظم علاقة المتدين بالآخرين من أبناء دينه والمخالفين له، وأفراد المجتمع فيما بينهم كل حسب مقامه الذي أقامه فيه أصول ومبادئ الديانة، ولعلّ أقرب مقام في علاقات القرابة بين البشر علاقة الآباء بأبنائهم والعكس، حيث يمكن لهذه العلاقة أن تكون معيارا للحكم على الإنسان، فمن كانت علاقته بأبنائه أو والديه طيبة كانت علاقته مع الآخرين طيبة طبعا لا تصنعا، أمّا من كانت علاقته بآبائه وأبنائه سيئة فستكون علاقته بالآخرين أكثر سوءا، حتى وإن بدت طيبة فإنما هو تصنع سرعان ما يزول وتبدو الأمور على حقيقتها، وفي وسط هذا الواقع البشري الذي ساءت أحواله، صرنا نرى أباءا وأمهات يتخلون عن أبنائهم فيرمونهم في الشوارع وفي دور الأيتام الطفولة، أو ربما يتنصلون من واجب الرعاية والتربية؛ وفي المقابل نجد أبناء يتجاهلون حقوق الأبوة، يتنكرون لجميل الآباء فيرمونهم في الشوارع أو في دور العجزة، هذه البلية لا يكاد يسلم منها مجتمع ولا بلد ولا دولة، وفي ظل هذا الواقع كانت هذه الدراسة من الأهمية بمكان، لتوضيح ما أوجبته الديانات الكتابية لكل من الأبناء ووالديهم، وما لكل منهم من الحقوق والواجبات.

1: واجبات وحقوق الوالدين في اليهودية.

النصوص اليهودية المقدسة زاخرة بأسفار تربوية اجتماعية، تهدف لتنظيم المجتمع اليهودي؛ وغالبا ما تُربط الأوامر والنواهي بالعهد والميثاق الإلهي، والاعتراف بجميل وفضل الإله من خلال الخدمة التي قدمها لبني إسرائيل حين أنجاهم وأخرجهم من العبودية، فتأسست قاعدة-الجميل والاعتراف بالجميل-، فكان لزاما على اليهود أن يتعاملوا فيما بينهم بالحسنى، ويكون الاعتراف بالجميل إلزاما وحقا، وإذا تحدثنا عن هذا الأمر على مستوى الأفراد، فلا نكاد نجد أكبر جميل وتفضل على الفرد من والديه اللذين كانا سبب وجوده، فلم تخل النصوص المقدسة من حث الآباء على بذل الجميل لأبنائهم من تربية ورعاية وغيرها، كما لم تخل النصوص المقدسة اليهودية من حث اليهود على بر الوالدين والإحسان إليهما، بل إنها جاءت مشددة في أكثر من موضع على فرض عقوبة دنيوية لكل من عقّ والديه من اليهود [1] فربما يتهاون المتدين في أحكام دينه إذا علم أنها اجتهادات شخصية أو جماعية لعلماء مجتهدين أو هيئات علمية أو مجامع فقهية، فيكون في موضع الشك والريبة من أمره، لكن إذا علم علم يقين أن الذي أمر ونهى هو الرب الكريم، أو النبي المشرع، وجاء هذا الكلام والأوامر منقولا مكتوبا في المصادر المقدسة، فلا يسعه إلا الائتمار والتنفيذ، وإلا عُدّ عاصيا مخالفا، يترتب على عصيانه عواقب سيئة في دنياه وفي آخرته.

1-1:حق الأبناء على والديهم في اليهودية.

أول ما يولد المولود يكون عاجزا عن التدبير، وفي مرحلة الطفولة أيضا يكون عاجزا عن التمييز بين المنافع والمضار؛ من أجل ذلك جعل الرب أمور الصبية الصغار بين يدي والديهم، ولهم مسؤولية جسيمة حيال هذا الأمر لا يمكنهم التنصل منها مهما كانت الأسباب والظروف، من أجل ذلك ورد في العهد القديم ما يُحدد مسؤوليات الآباء اتجاه أبنائهم، فواجب الأب التأديب وواجب الأم زرع الشريعة فيهم وتربيتهم على احترامها،"إسمع يا ابني تأديب أبيك، ولا ترفض شريعة أمك، لأنهما إكليل نعمة لرأسك وقلائد لعنقك"[1]؛ في هذا النص يأتي الحديث على وجوب طاعة الأبناء لآبائهم من الصغر، فالأب حين حديثه وتأديبه لابنه عليه أن يكون مصغيا مستمعا طائعا، لأن الأب صاحب خبرة ومعرفة بالدنيا وخباياها ومآلات الأمور، فهو يعطي ابنه زبدة خبرته الدينية والدنيوية، ويعني هذا أن الآباء عليهم أن يكونوا على مستوى كبير جدا من الحذر والانتباه، لا سيما أمام أعين أبنائهم، الذين يعتبرونهم قدوة لسلوكاتهم وتصرفاتهم، فالأولاد يتعلمون القيم وآداب السلوك والأولويات من ملاحظة والديهم، وردود فعلهم اليومية، فإذا أظهر الوالدان احتراما عميقا لله واتكالا وطيدا عليه، فإن الأبناء يعتنقون هذه المواقف، فأظهر احترامك لله بأن تحيا باستقامة أمام أبنائك، وعلمهم حياة الاستقامة بإعطاء العبادة مكانا هاما في حياتك العائلية[2] وكلما كان الولد مصغيا مؤتمرا بذلك انتفع، وإذا رفض كانت عواقبه وخيمة مخزية، وكذلك أمه التي تُغذيه دينيا وعقائدية، وتبني شخصيته الدينية عليه أن يكون لها طائعا، لأن الانتماء والانتساب في اليهودية للأم؛ ولعلّ هذا هو أساس الفكرة، أن الأم هي التي تؤسس تدين ولدها؛ وابتدأ هذا السفر بصيغة الأمر، بمعنى إلزام الأولاد بالاستماع والطاعة لأوامر ونواهي الآباء، ولعلّ هذه الطاعة تهل صاحبها نورا وجمالا وتجعله

[1] -كريمة دوز، الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية، ط1، دار الكتاب، مصر، 2016م،ص46.

[1] - الأمثال 1: 8-9

[2] -مجموعة من كبار الباحثين: قاموس الكتاب المقدس، ص1283.

في مرتبة السلطان، وهذه هي رمزية التاج والقلائد، وهناك عدد آخر في نفس السفر يرشد إلى ذات المعنى، يقول: (ياابني احفظ وصايا أبيك ولا تترك شريعة أمك، اربطها على قلبك دائما، قلّد بها عنقك، إذا ذهبت تهديك، إذا نمت تحرسك، وإذا استيقظت فهي تُحدثك، لأن الوصية مصباح، والشريعة نور، وتوبيخات الأدب طريق الحياة)[3]

أما عن التربية والرعاية في مرحلة الطفولة وقبل البلوغ، فإن ما تشير إليه بعض النصوص اليهودية تلميحا لا تصريحا بأن حق الرعاية يُكلّف به الأب، فكما أنه مُلزم برعاية وكفالة الأم فهو كذلك مكلف برعاية أبنائها، من ملبس ومأكل ومشرب إلى غاية البلوغ، حيث يُعتبر إنجاب الأطفال واجبا إلهيا، بالرغم من أن الذين لا يستطيعون الإنجاب لا يُعاقبون ولا يُستبعدون ؛ومن واجب الوالدين تربية أطفالهم وتعليمهم مهنة، حتى مهارة السباحة، لتزويدهم بالمهارات الضرورية للحياة الآمنة والسليمة والمنتجة[4] فتهتم الديانة اليهودية بإنشاء الشخصية اليهودية المستقيمة دينيا، بتربيتهم من قِبل الآباء على ذلك من الصغر، كما ينبغي بناء الذات المنتجة المفيدة لنفسها ولوطنها ولأبناء جنسها، من خلال التربية على حب العمل والحركية في الحياة.

وأول واجب ديني يهودي يربط الأحفاد بالأجداد القائم على العهد الإلهي، يتمثل في الختان، الذي هو رمز من رموز القربان والصلوات، فيختن اليهود أبنائهم وهم صغار مباشرة بعد إتمامهم اليوم السابع من الولادة؛ حيث تفرض التوراة ختان كل الذكور في اليوم الثامن من ولادتهم، فقد ورد في سفر التكوين ما ينص على ذلك:(وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك ومن بعدك في أجيالهم، هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، يُختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم، إبن ثمانية أيام يُختن منكم، كل ذكر في أجيالكم)[5] حتى وليد الأم اليهودية غير المختون نادرا أن يُعتبر يهوديا... ويُسمى حفل الختان بالعبرية (بريت ميلاه) بمعنى عهد الختان، وجاء الختان ليكون مفهوما بأنه علامة العهد الذي بين الله وبني إسرائيل، منذ قصة إبراهيم في سفر التكوين، تكون فريضة الختان على الأب، إلا أنه ينيب عنه عادة خبير للقيام بذلك يُسمى موهيل (المُطهّر)[1]

ومن خلال كل هذا نصل إلى حقيقة تركيز المشرع اليهودي على وجوب تكوين الشخصية الدينية لدى الفرد اليهودي، وألزم الآباء كل على حسب الدور الموكول إليه للعمل على ذلك، من خلال إثبات النسب العرقي الحاصل من ناحية نسب الأمهات، وما أُلقي على مسؤولية الأمهات من تجسيد ذلك على الميدان التطبيقي العملي في يوميات اليهودي المعاشة المربوطة بالشريعة اليهودية؛ ومن ناحية أخرى يتكلف الآباء بالجانب التربوي المربوط بضروريات الحياة من مأكل ومشرب وملبس، دون إغفال التربية الدينية.

هذه هي النصوص التي استطعنا الوقوف عليها فيما يخص هذا الموضوع، لكن لا تذكر النصوص اليهودية العواقب والتبعات الدنيوية والأخروية التي تترتب على الآباء من خلال تربيتهم السيئة أو الحسنة لأبنائهم، لكنها تؤكد شديد التأكيد على وجوب التربية الدينية للأبناء التي تساهم فيها الأمهات بشكل كبير.

---

[3] -الأمثال 6: 20-23.

[4] -روبن فايرستون، ذرية إبراهيم، ت: عبد الغني بن إبراهيم، منشورات معهد هارويت للتفاهم الدولي للأديان، ص132.

[5] -التكوين 17: 9-11.

[1] - محمد مبروك أبو زيد، مصر الإسرائيلية-التبادل الحضاري بين مصر وإيجبيت-، (1/138-139)

1-2: واجب الأبناء اتجاه آبائهم في اليهودية

وفي مرحلة التربية هذه على الغلام اليهودي أن يرعي سمعه، ويكون مطيعا لتربية والديه، لكي ينتفع ويكون لذلك أثرا طيبا عليه،"الابن الحكيم يقبل تأديب أبيه، والمستهزئ لا يسمع انتهارا"[2] فالابن الذي يكون مستقبله زاهرا مثمرا، يكون في صباه مطيعا مصغيا لوالديه، فيعود عليه ذلك بالنفع والفائدة، أما الذي يكون مستقبله محطما فاشلا، فيكون في صباه عاصيا مستهزئا بوالديه، لا يقبل منهم كلاما ولا تأديبا ولا انتهارا.

"العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة إطاعة أمها تُقوّرها غربان الوادي وتأكلها فراخ النسر" [3] كما قيل في السفر السابق، أن الذي يكون مستهزئا بوالديه وكلامهم وتأديبهم سيكون فاشلا ومعرضا للأخطار والوقوع في الخداع والمكائد التي ينسجها له الأشرار من بني الإنسان، فتأديب الأبوين هو بمثابة المضاد الحيوي الذي يقيه من التعرض لأسقام وأمراض وفتن المجتمع الذي يعيش وسطه، وإنما يعطيه أبواه هذه المضادات التي اكتسبوها بالخبرة والممارسة في المجتمع والدنيا، فكأن المشرع اليهودي يُنبه على خطورة الاستهزاء بالوالدين ولو بحركة من حركات العين البسيطة التي قد لا يراها ولا ينتبه إليها، فهو ربما ينبهنا إلى الغمزة التي تحمل معنا من معاني السخرية، فتحمل حركة العين هذه استهزاءا وسخرية واحتقارا، فالغربان والنسور التي ذُكرت ربما هي من باب الكناية على الوقوع في المهالك، ربما عقوبة له من الرب على عصيانه أوامر أبويه، وربما نتيجة لجهله بأبجديات الحياة التي رفض تلقيها عن أبويه.

"أكرم أباك بفعالك ومقالك بكل أناة"[4] فيزيد في هذا السفر تأكيد الفعال إضافة إلى الحسن من القول، إذ يدعو هذا السفر إلى إكرام الآباء ماديا ومعنويا، فلا يُقال للأب إلا جيدا محمودا من القول، القول الذي يسعده ويسره ويُدخل عليه البهجة ويشعره بالراحة والسكينة والأنس، لا أن نقذفه بقول يُشعره بالأسى والحسرة، ولا نسبه ونقول له فُحشا من القول، ولا نُغلظ له الكلام، وإنما اللين والأدب هو الذي ينبغي أن يكون على حسب ما تشير إليه الوصية، وكذلك الفعل بحيث تكون تصرفاتنا أمامه تصرفات مؤدبة نساعده في ما يعجز عليه ونكرمه بكثرة إهداءاتنا له دليل محبتا إياه، ولا نضربه أو نرفع عليه يدا بسوء مهما كان الحال والظرف، ويكون هذا التلطف مع الأبوين من باب الواجب المُناط برقابنا لا من باب التفضل، فواجبك معهم أن تكون لطيفا، دون منّ ولا تصنع للجميل، وإنا واجب يبقى المرء مُقصرا فيه مهما حاول الإتيان به على التمام والكمال.

"أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ" [5] فربما يتقاعس الإنسان في إكرام أبويه بحجة أنه لا مصلحة له من ذلك، وأن مستقبله المزهر يصنعه مع أبنائه وزوجته ومن له معهم مصلحة، فيخبره النص هذا أن إكرام الأبوين سبب للبركة في العمر والرزق، تساءل أحد المفسرين اليهود: لماذا أتم ربط العمر المديد باحترام الوالدين؟ فقال: تطويل الأيام لا يجري فقط ‘‘إلى الأمام’’، بل ‘‘إلى الوراء’’ أيضا. بمعنى أن من يكرم والديه يصبح بشكل تلقائي جزءً من سلسلة الأجيال والتقاليد طويلة المدى ويطول عمره ‘‘إلى الوراء’’ ويعيش ليس حياته فقط بل حياة آبائه وأجداده إلى بداية الأزمان، وهذه لفتة مميزة وحكيمة

[2] -الأمثال 13: 1

[3] - الأمثال 30: 17.

[4] - يشوع 3: 9.

[5]- الخروج 20: 12.

من المفسر، حيث أن البار بوالديه وكأنه يمد جسور التواصل بين الحاضر والماضي، بين واقعه وماضيه، بين ذاته وذات الأجداد والآباء والأسلاف الصالحين، فتكون طاعة الآباء ليست مقتصرة على آبائه المباشرين الذين كانوا سبب وجوده، بل يمتد بره إلى بر الآباء من الأنبياء الذين رسموا طريق الخلاص والمفازة والصلاح، فتكون بركة دعاء ورضا آبائه الأقربين والأبعدين خيرا عليه وعلى رزقه وأبنائه، فيكون عمره مباركا ورزقه مباركا وأولاده مباركين ويعيش سعادة وبسطة في حياته، وربما تكون البركة التي يعيشها شكلا من أشكال طول العمر.

"أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ، وَلِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ" [1]، ما معنى إكرام الوالدين؟ الإكرام يعني التحدث معهم بأدب أولا، والتحدث عنهم حديثا طيبا، كما يعني التصرف بأسلوب يظهر لهم اللطف والاحترام، ولكن لا يجب أن نتبعهم في أعمال العصيان لله، فللوالدين مكانة خاصة في نظر الله، وحتى الذين يجدون من الصعب عليهم التعامل مع والديهم يلزمهم رغم ذلك أن يكرموهم[2] فلا يحق للمرء أن يقول فحشا وسيئا من القول في حق والديه، حتى وإن كانا مقصرين في حقك، يكفي أنهما أنجباك وربياك ، مع ما يرافق ذلك من التعب والضنك، فلو لم يكن لهم من الجميل والمعروف إلا هذا لكفى.

(ومن ضرب أباه أو أمه يُقتل قتلا)[3] وهذا الحكم وإن كان قاسيا لكنه عين العدل، فالذي يضرب والداه اللذان كانا سببا إيجاده وخلقه المباشر، فكأنه تعدى وضرب الرب الذي هو السبب غير المباشر في الإيجاد، فيكون الاعتداء على الرب شكلا من أشكال الكفران والجحود الذي يستحق صاحبه القتل والإفناء من الوجود، وهذا الذي يضرب أبويه عنصر فاسد في المجتمع، إذا بقي حيا سينشر عدواه في أبناء المجتمع الذي يعيش فيه، فكان التخلص منه أمرا واجبا حتميا ضروريا، وإذا تخلصنا من فاعل هذا الفعل كان ذلك رادعا لكل من يفكر في الاعتداء على والديه أو التفكير في الإساءة إليهما؛ فكأنما الرب يُعلمنا أنّ الأخطاء مع الوالدين كلها يُمكن أن تُصلح وتُغتفر، إلا ذنبا واحدا وهو ضرب الوالدين، الذي هو بمرتبة الإشراك بالإله الواحد، وإخلاف بالوصايا.

غير أن الملاحظ عن تبعات حقوق الوالدين والآباء كلاهما على الآخر، لا يتعلق بهما جزاء أو عقاب أخروي، بل كل أشكال الجزاء والعقاب دنيوية، وربما يتحججون بأن نسل داوود كلهم مآلهم الفردوس الأخروي، لكن في هذه النقطة بالذات أيكون المحسنون والمسيئون سواء، فإذا كان أخوين أحدهما بار والآخر عاق، أيكونان سواء في الجزاء الأخروي..؟؟ لعله من الأسئلة المحيرة التي لا نجد ولا نفهم لها مخرجا، وإن كانوا هم ربما وجدوا أجوبة لمثيلات هذا الإشكال، يتماشى مع معتقدهم ونظرتهم للثواب والعقاب، والأمر ذاته نقوله بالنسبة للآباء أيكون المحسن في التربية والمسيء المضيع سواء؟؟ خاصة وأن مهمل التربية قد أساء إلى نسل بني إسرائيل وإلى نسل داوود .

[1]-سفر التثنية 5: 16 .

[2] -التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، القاهرة، مصر، 2004م، ص172.

[3] - الخروج 21 : 15.

2: حقوق وواجبات الوالدين في المسيحية

2-1:واجبات الآباء اتجاه الأبناء: اليهودية والمسيحية يجمعهم كتاب يحمل تشريعات تكاد تكون مشتركة، فالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يؤمن بهما المسيحيون بأنهما من عند الله، وكل وصايا العهد القديم ملزمة للمسيحيين، فكل الوصايا التي رأيناها **حق الأبناء على آبائهم**. سابقا في اليهودية من حقوق الآباء على أبنائهم أو الأبناء على آبائهم، ستكون متشابهة، ولكن لا بأس بذكر نصوص من العهد الجديد تنص على ما ورد معنا سابقا في العهد القديم، ومن بين تلكم الوصايا: في رسالة بولس إلى أفسس ابتدأها بالتنبيه إلى واجب كل من الآباء والأبناء على بعضهم البعض، ففي حق الأبناء على الآباء قال: (وأنتم أيها الآباء لا تُغيضوا أولادكم، بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره)[4] وقد فسّر صاحب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس هذا القول بقوله : إن الهدف من تأديب الوالدين هو معاونة أولادهم على النضج، وليس لأذيتهم أو تثبيط هممهم؛ فتربية الأولاد ليست أمرا هيّنا، فهي تستلزم صبرا كثيرا لتنشئتهم تنشئة ملؤها المحبة وإكرام المسيح، ولا يجب أن يكون تثبيط الهمم الغضب من دواعي التأديب، بل بالحري أن يكون تصرف الوالدين في محبة، ويعاملوا أولادهم كما يعامل الرب يسوع شعبه ويحبهم[1]، فالتربية مسؤولية كبيرة ملقاة على كاهل الآباء، ينبغي أن يتعاونوا عليها، لا يربي الأبناء بالغلظة والكراهية القسوة، وإنما اللين هو الذي ينبغي أن تتسم بها التربية المسيحية، لتكون المحبة معنى يتأدب عليه الأبناء من الصغر، فيتربون بالمحبة والرفق، ليُبادلوا والديهم المحبة، فتكون حياتنا في بيوتنا محبة وفق ما أمر به السيد المسيح، على ما يبدوا من الناحية النظرية أن الأبناء ينبغي أن نربيهم على محبة المسيح، وعلى ربط آصرة المحبة بينه وبين الكنيسة التي ينبغي أن يكون لها نصيبها وحضها في التربية والتنشئة، وعندما نربي أبنائنا على المحبة، فنحن نكوّن فيهم عدة جوانب، الجانب الديني المسيحي القائم على المحبة، والجانب الاجتماعي الذي تثمر المحبة ثمارا طيبة إذا انتشرت وسادت بين أفراده، ونحصل على أُسرٍ سعيدة مستقرة مطمئنة أفرادها متحابين متآلفين.

هذه المحبة التي يربي الآباء عليها أبنائهم، سيجنون ثمارها في مرحلة الكبر، حينما يعاملهم أبنائهم بالمحبة التي ربوهم عليها في الصغر، فلا يخافون ظلما ولا تهميشا ولا عقوقا من طرف أبنائهم، الذين ربوهم ونشئوهم تنشئة ملؤها المحبة والصدق والوئام.

2-2: حق الآباء على الأبناء

الديانات التي يلتزم أهلها بالكتاب المقدس بعهديه، كثيرا ما تجد الأحكام فيه تربط أدائها والمحافظة عليها بالوعد الإلهي الأول؛ أي عهد الله مع الآباء، حيث وعدهم بجملة من الوعود، تتحقق إن هم حافظوا على عهد العبودية والطاعة، ومن جملة هذه الطاعات التي قرنت بالعهد الأول، إكرام الآباء والأمهات من قبل الأبناء،"أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، الَّتِي هِيَ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بِوَعْدٍ"[2] ولعلّ قوله أول وصية بوعد ربما يقصد بها أول وصية بعد وصية التوحيد، ولذلك تقدم الحديث عن الوالدين قبل كل شيء، بل قبل الحديث عن حرمة القتل والزنا، لذلك قال البابا شنودة الثالث في تفسير الوصايا العشر: تصوّر أن الرب لكي يعطينا فكرة عميقة عن إكرام الوالدين، يقول "أكرم أباك وأمك "قبل أن يقول "لا تقتل" وقبل أن يقول "لا تزن" وقبل أن يقول "لا تسرق ولا تكذب ولا تشته"

[4]-أفسس 6: 4.

[1] -التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2547.

[2] -رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس 6: 2

كأن الذي يُخطئ بعدم إكرام والديه هو أكثر خطيئة ممن يرتكب جريمة قتل أو جريمة زنى أو جريمة سرقة، وأكثر من الذي يشهد الزور أو يشتهي مال قريبه[3]، على الأولاد أن يطيعوا والديهم إكراما للمسيح، لأنه واجب وحق في نفسه، وعلى الوالدين أن يعتزلوا كل ما يمنع أولادهم من محبتهم، وأن يُربوهم تربية صحيحة[4]، والخصوصية التي تتميز بها المسيحية، إضافة الطاعة والالتزام كطاعة للمسيح، الذي تعتبر طاعته واحترامه طاعة للرب تعالى، فربما يتساهل المسيحي في أمر أبويه في حال من حالات الغفلة، لكن عند تذكره أن طاعتهما هي طاعة للأب المسيح، فيجتهد في سبيل ذلك يعمل عليه برضا وقبل وفرحة وسرور.

(أيها الأولاد، أطيعوا والديكم في الرب، لأن هذا حق)[5] وهذه الوصية هي تقريبا تأكيدا للوصية التي قبلها، وتأكيدا لما قلنا بأن طاعة الوالدين طاعة للرب الآب وللرب الابن المسيح، هذا أول ما أوجبه الله على الأولاد، ولعل علة ذلك أنه أول ما يستطيعون فهمه والقيام به، وهو أساس الطاعة لله وللحكام الذين عيّنهم، وهذه الشريعة المكتوبة على الورق في عين الشريعة التي كتبها الله في صفحات ضمائر البشر في كل زمان ومكان...(في الرب) هذا قيد طاعة الأولاد لوالديهم، ومعنى الرب هنا يسوع المسيح، وعل ذلك يجب أن يعتبر الأولاد أن الطاعة لوالديهم هي طاعة للرب المسيح... وهذا ركن نجاح الأولاد في الحياة؛ فالولد الذي اعتاد طاعة والديه في البيت كان على استعداد لطاعة أستاذه في المدرسة ورؤساءه الروحيين، والخضوع لشريعة الله، والخضوع للأحكام السياسية، وأما الولد الذي لم يتدرب على طاعة والديه يعسر عليه أن يقوم بالطاعة لغيره، والعاصي لأبيه الذي يراه يعصي أباه السماوي الذي لا يراه[1] ويعني هذا أن طاعة الوالدين لعا ثمرات دنيوية عدة؛ والتي من بينها انها تُدرب الأبناء على طاعة من تجب عليهم طاعتهم والخضوع بين يديهم، من حكام وولاة أمور وآباء الكنيسة المعلمين الذين هم لسان الله على لسان المسيح الذي يعيش بيننا، يلهمونا ويهدوننا وينيرون لنا طريق السلامة والأمان في الحياة.

"وَلكِنِ اعْلَمْ هذَا أَنَّهُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ سَتَأْتِي أَزْمِنَةٌ صَعْبَةٌ، لأَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لأَنْفُسِهِمْ، مُحِبِّينَ لِلْمَالِ، مُتَعَظِّمِينَ، مُسْتَكْبِرِينَ، مُجَدِّفِينَ، غَيْرَ طَائِعِينَ لِوَالِدِيهِمْ، غَيْرَ شَاكِرِينَ، دَنِسِينَ، بِلاَ حُنُوٍّ، بِلاَ رِضًى، ثَالِبِينَ، عَدِيمِي النَّزَاهَةِ، شَرِسِينَ، غَيْرَ مُحِبِّينَ لِلصَّلاَحِ، خَائِنِينَ، مُقْتَحِمِينَ، مُتَصَلِّفِينَ، مُحِبِّينَ لِلَّذَّاتِ دُونَ مَحَبَّةٍ للهِ، لَهُمْ صُورَةُ التَّقْوَى، وَلكِنَّهُمْ مُنْكِرُونَ قُوَّتَهَا. فَأَعْرِضْ عَنْ هؤُلاَءِ"[2]

" اكرم اباك بكل قلبك ولا تنس مخاض أمك، اذكر انك بهما كُوّنت فماذا تجزيهما مكافأة عما جعلا لك". فالجزاء من جنس العمل على حسب ما جاء في هذا السفر، فالأم لها فضل عليك، ولها دين في رقبتك عليك تأيته لها إن استطعت ذلك، هذا الدين هو حملك بين أحشائها مدة تسعة أشهر، وما لاقته من أوجاع وآلام وشدة في سبيل ذلك، أضف إليه ألم الوضع والولادة، حيث انشق جسمها وأشرفت على الموت من أجل أن تخرج أنت إلى الحياة سالما معافى، وما تحمّلته بعد ذلك من إرضاع وتربية ورعاية، وسهر ليالي حتى تصير شابا كبيرا تستطيع القيام بشؤونك يشتد عودك، فهذه كلها جملة من الديون، لا ينبغي نكرانها أو نسيانها.،

---

[3] –البابا شنودة الثالث، الوصايا العشر في المفهوم المسيحي، مطبعة الأنبا رويس، العباسية، مصر، ط1، 1980م ، ج2، ص7

[4] –وليم أدي، الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، لبنان، 1973م، ج3، ص 181.

[5] –أفسس 6: 1.

[1] – وليم أدي، الكنز الجليل في تفسير الانجيل، ج3، ص182.

[2] –(رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس 3: 1-5).

موسى قال اكرم اباك وامك.ومن يشتم ابا او اما فليمت موتا" (مر10:17)، وهذا الحكم سبق التنبيه عليه في اليهودية، وها هو هنا يقول من شتم أبويه يقتل قتلا، ويتم استئصاله من المجتمع، كي لا ينتشر داؤه الخطير بين أبناء المجتمع المسيحي، يا بني اسمعوا أقوال أبيكم واعملوا بها لكي تخلصوا. فان الرب قد أكرم الأب في الأولاد واثبت حكم الأم في البنين. من أكرم أباه فانه يكفر خطاياه ويمتنع عنها. ويستجاب له في صلاة كل يوم. ومن احترم أمه فهو كمدخر الكنوز. من أكرم أباه سر بأولاده وفي يوم صلاته يستجاب له. من احترم أباه طالت أيامه ومن أطاع أباه أراح أمه. الذي يتقي الرب يكرم أبويه ويخدم والديه بمنزلة سيدين له. أكرم أباك بفعالك ومقالك بكل أناة لكي تحل عليك البركة منه وتبقى بركته الى المنتهى فان بركة الأب توطد بيوت البنين ولعنة الأم تقلع أسسها. لا تفتخر بهوان أبيك فان هوان أبيك ليس فخرا لك بل فخر الإنسان بكرامة أبيه ومذلة الأم عار للبنين. يا بني أعن أباك في شيخوخته ولا تحزنه في حياته وان ضعف عقله فاعذر ولا تهنه وأنت في وفور قوتك فان الرحمة للوالد لا تنسى وباحتمالك هفوات أمك تجزى خيرا وعلى برك يبنى لك بيت وتذكر يوم ضيقك وكالجليد في الصحو تحل خطاياك، ثم نزل معهما ورجع إلى الناصرة وكان خاضعا لهما كما ورد ذلك بوضوح في انجيل لوقا (ثم نزل معهما ورجع إلى الناصرة، وكان خاضعا لهما، وكانت أمه تحفظ هذه الأمور كلها في قلبها)[3]. والمسيح عليه السلام لم يأمر فقط الآخرين بالخضوع للآباء، بل كان هو أيضا خاضعا لأمه طبق ذلك عمليا، ليكن حجة ودليلا على وجوب الخضوع للآباء مهما كان مقامك ومكانتك.

هذا بما يطلبه الدين المسيحي من المسيحيين اتجاه آبائهم، غير أن هذه التعليمات الدينية غلبت عليها ظروف الحياة المدنية، حيث تنقطع صلة الأبناء بآبائهم بعد بلوغهم، ليصير الكل مسئولا عن نفسه؛ حيث نجد الرجل الأمريكي مثلا،إذا قرر الزواج من امرأة فإنه يتزوجها إن وافقت هي، دون ضجيج أو صخب، وهو عادة ما يذكر هذا الأمر لأسرته (الأب،الأم،الإخوة،الأخوات...) وقد يدعوهم لحفل زفافه، ولكن هذا لا يتم إلا من باب العلم بالشيء وحسب، لأنه لا يبغي رضاهم ولا يخشى سخطهم[4] وهذا يؤكد حال الاستقلالية التامة لأفراد الأسرة المسيحية، فلا ولاية لأحد على أحد ولا يكف أحد أحدا، بل حتى حضور المراسيم السعيدة لا يهم الحضور من عدمه.

أما في حالة كبر الآباء وانفراد الأبناء بحياتهم الشخصية، فإن الآباء مآلهم دور العجزة التي خُصصت لكل من كبر سنه وتفرّد بحياته، ولا يجدون حرجا دينيا لا أدبيا من ذلك، لأن الأمر صار عاديا تواطأ الناس عليه عندهم، إذ أن علاقة الأمريكي تنقطع بعائلته مع بلوغه سن السادسة عشر، لتقتصر على المقابلات في أعياد الكريسماس، ثم تضمر إلى أن تظل مقتصرة على تبادل بطاقات المعايدة الخالية من أي محتوى إنساني، شخصي...وكم كنت أُصاب بالذعر الشديد لرؤية هؤلاء الأمريكان وهم يودعون أمهاتهم وآبائهم في بيوت العجز...،فعندما تبلغ خمسا خمسين سنة فأنت لا تقطن مع ابن من أبنائك، كما أنك لا يمكنك أن تعيش في منزل بمفردك، لأنه سيكون مكلفا، ولذا تنتقل إلى أحد هذه المنازل المزودة بكل وسائل الرّاحة العصرية، من سرائر نظيفة وأجهزة تكييف هواء وأسطوانات وحجرات فسيحة، تجلس في إحداها لتنظر إلى التلفزيون بقية أيامك الأرضية[1]

---

[3]-لوقا 2: 51 .

[4]-عبد الوهاب المسيري، الفردوس الأرضي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1979م، ص14.

[1] -عبد الوهاب المسيري، الفردوس الأرضي، ص15.

إن الدارسين للمجتمع الأمريكي ينعتون الظروف الاجتماعية لأمريكا، لكن إذا حاولنا معرفة التركيبة الدينية الأمريكية، وجدناها مكونة من الديانة اليهودية ، والديانة المسيحية، وعلى ما يبدو بأن هذه الظاهرة الاجتماعية عصفت بأصحاب الديانتين هناك، حيث يُشهد التقصير من الطرفين ربما، تقصير من طرف الآباء من حيث الرعاية، حيث أن الأبناء منذ صغرهم يوكلون إلى مرضعات أو يُربون على الحليب المعلب، إذ أن أغلب الأمهات لا ترضعن أولادهن حفاظا على جمالهن ورشاقتهن، ويُربى الأبناء بعد الطفولة على اتخاذ الخليلات والخلائل، ففي برامج تلفزيونية ترى استطلاع آراء الشابات عن عدد أصدقائها اللائي تواعدهن، ويجبن عن السؤال دون تحرج، في إشارة واضحة على أن هذا أمر عادي جدا لديهم في مجتمعهم، ومن جهة أخرى ما يُعامل به الآباء بعد كبرهم من هجران وإهمال، أنا أراها وأقرؤها بهذه القراءة، لكن مجتمعهم تقبّلها وتعايش معها لظروف اجتماعية ومعيشية فُرضت عليهم بما وحاولوا استصدار حلول لها، فكان من بين الحلول التي لاقت قبولا هو دار العجزة التي يؤخذ إليها الآباء بعد الكبر.

3:حقوق وواجبات الوالدين في الإسلام.

3-1: واجبات الآباء في الإسلام.

الدين الإسلامي يحث معتنقيه على الزواج، وجعله سنة من سنن نبيهم صلى الله عليه وسلم التي يجب عليهم المحافظة عليها، والمسارعة إلى تأديتها حين بلوغ سن البلوغ، وللزواج مقاصد وغايات وأهداف، ومن بين أهدافه إنجاب البنين والبنات وإكثار أمة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، من أجل ذلك كان صلى الله عليه وسلم يدعو لتزوج المرأة الولود، فقال صلى الله عليه وسلم: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)[2]، ولحرصه غاية الحرص على هذه النقطة بالذات، كرّه النبي الكريم زواج المرأة العقيم، لأن ذلك يقف دون تحقيق هدف تحصيل الأولاد، فعن معقل بن يسار قال؛ جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال إنها لا تلد، أفأتزوجها ؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: تزوجوا الولود فإني مكاثر بكم)[3] فالأولاد من نعم الله تعالى التي لا يمكن أن يستغني عنها أحد، وهم الذين يزيدون الحياة الزوجية سعادة وبهجة، والذي يُحرم نعمة الأولاد يكون مستعدا لبدل النفس والنفيس من أجل الحصول عليهم، هم أمانة من الله ينبغي مراعاتها والمحافظة عليها وصيانتها؛ لذلك أمرنا ربنا أن لا نبخس هذه النعمة سواء كان المولد ذكرا أو أنثى، ومن حرمه الله هذه النعمة لا يسعه إلا الصبر والاحتساب،قالتعالى:﴿

يُزَوِّجُهُمْ أَوْ ﴿٤٩﴾ ٱلذُّكُورَ يَشَآءُ لِمَن وَيَهَبُ إِنَٰثًا يَشَآءُ لِمَن يَهَبُ ۚ يَشَآءُ مَا يَخْلُقُ ۚ وَٱلْأَرْضِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ مُلْكُ لِلَّهِ عَقِيمًا يَشَآءُ مَن وَيَجْعَلُ ۖ وَإِنَٰثًا ذُكْرَانًا ﴾[4]

[2] -أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج21، ص278.

[3] –سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود، ت: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، دمشق، سورية، ط خ، 2009م، ج3، ص395.

[4] -سورة الشورى 49-50.

ويوم يولد المولود يُلزم أبوه بذبح عقيقته وتسميته، لما رواه البخاري في صحيحه عن سلمان بن عامر الضبي قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى)[1]

وحظ الإسلام الوالدين على اختيار أسماء جميلة حميدة ومقبولة، لأن الأبوين سيسألون يوم القيامة عن أسماء أبنائهم، فكان مراعاة هذا الأمر غاية الأهمية والخطورة، إذ قبل أن يسمي الوالد ولده يستحضر أهمية هذا الاسم وقيمته مدى قبوله من الرب جل جلاله، لذلك يستحب من الأسماء أحسنها؛ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم فأحسنوا أسمائكم)[2] وقد ورد في صحيح السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غيّر أسماء عديدا من الصحابة بعد اعتناقهم الأسماء، لأن أسمائهم كانت أسماء قبيحة.

كما أن الوالدات لهم واجب الرضاعة حولين كاملين، فهو حق مضمون مكفول من قبل الله تعالى للأبناء اتجاه أمهاتهم، فقال تعالى﴿ٱلرَّضَاعَةَ يُتِمَّ أَن أَرَادَ لِمَنۡ كَامِلَيۡنِ حَوۡلَيۡنِ أَوۡلَٰدَهُنَّ يُرۡضِعۡنَ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ﴾[3]، هذا في حق الأمهات؛ أما من ناحية الآباء فعليهم حق النفقة من ملبس وإطعام وسكن، قال تعالى: ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَكِسۡوَتُهُنَّ رِزۡقُهُنَّ لَهُ ٱلۡمَوۡلُودِ وَعَلَى﴾[4]

وتترتب النفقة على الأب في حق الأبناء ما داموا في مرحلة ضعف وعجز، وقد حدد الفقهاء مدتها بالنسبة للذكور إلى غاية البلوغ، وفي حق البنات إلى غاية الزواج.

ويجب تأديب الأبناء تربية إسلامية، قائمة على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في كل شؤون الحياة، وأول واجب يلزمون بالقيام به هو واجب أداء الصلاة، قال صلى الله عليه وسلم: (مروا أبنائكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع) [5] فيؤمرون بالصلاة كأمر أولي في سبع سنين من أعمارهم، ثم يُلزمون على تأديتها إكراها بالضرب إذا هم أهملوها ولم يؤدوها، ما يعني هذا أن الأبناء يكونون تحت مراقبة مستمرة من طرف الأبوين لا يغفلون عنهم أبدا ، من أجل تربيتهم تربية طيبة حسنة مستقيمة على مبادئ الدين والعقيدة والقيم والمبادئ الإسلامية، وأكبر كرم يكرم به الآباء أبنائهم هو تربيتهم تربية دينية، لذلك قال صلى الله عليه وسلم : (ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن)[6]، إلى جانب التنشئة الدينية الخلقية، أمرنا أن نعتني بتنشئته البدنية الجسدية، حيث نربيه على الرياضة التي تقي عضلاته وقدراته ومهاراته، وتجعله مستعدا للنوائب والمصائب، فيكون قادرا على الدفاع عن نفسه، فنعلمه ركوب الخيل الرمي بالنبل، والسباحة التي تقوي العضلات، وقد ورد في ذلك أثر عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في رسالته لأهل الشام: (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل)

---

[1] –البخاري، صحيح البخاري، كتاب العقيقة، باب إماطة الأذى عن الصبي في العقيقة، (590/9)

[2] –سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود، ج4، ص287.

[3] –سورة البقرة 233

[4] -سورة البقرة233

[5] –أحمد بن حنبل، المسند،180/2)

[6] –الترمذي، الجامع الكبير، البر والصلة، باب أدب الولد، (338/4)

أما من ناحية معاملة الأبناء، فقد أمرنا صلى الله عليه وسلم أن نعامل أبناءنا بالعدل؛ العدل في المزاح والمحادثة والاهتمام وعدم تفضيل أحدهما على الآخر، لما لذلك من أثر سيء على نفسية الأبناء فيما بينهم مستقبلا، إذ أن تفضيل أحدهما على الآخر، تولد الضغينة والحقد بين الأبناء، وقد قصّ القرءان الكريم قصة يوسف وإخوته عليهم السلام وما وقع بينهم، بسبب تفضيل يعقوب عليه السلام ليسف عليه السلام على إخوته، حيث انتهى بهم المطاف إلى محاولة قتله؛ ومن أجل ذلك أمرنا نبينا بالعدل بين الأبناء، خاصة في مجال العطايا، فقد وقع للصحابي الجليل النعمان بن بشير واقعة بين أبنائه، حيث أعطى أحدهم ولم يعط الآخرين، فقال صلى الله عليه وسلم له: (اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم)[1]

فهذه هي جملة حقوق الأبناء على والديهم، كلها متعلقة بالاهتمام بالتنشئة والتربية، قصد إعداد فرد سليم متدين قوي ينفع نفسه وأهله، قادرا على تحمل مشاق الحياة مستقبلا، وهو بين كل هذا يسير على استقامة، عبدا لله سبحانه وتعالى.

3-2: حقوق الوالدين في الإسلام.

في الإسلام جعل الله طاعة الوالدين في الدرجة الثانية بعد عبادته سبحانه والخضوع له، ويخبرنا الله تعالى أن هذا الأمر أُمرت به بنو إسرائيل من قبل؛ قال تعالى: ﴿إِحْسَانًا وَبِالْوَالِدَيْنِ اللَّهَ إِلَّا تَعْبُدُونَ لَا إِسْرَاءِيلَ بَنِي مِيثَاقَ أَخَذْنَا وَإِذْ...﴾[2] وهذه الآية في القرآن الكريم تُصرح أن الله تعالى أخذ مواثيق على بني إسرائيل ، فأول ميثاق هو إفراد الله سبحانه بالعبادة ، وبعدها مباشرة وفي الدرجة الثانية بعد حق الله تعالى جُعل الميثاق الثاني الإحسان إلى الوالدين، قال الطبري : فإن قيل ما الإحسان الذي أخذ عليهم بالوالدين الميثاق ؟ قيل: نظير ما أمر الله على أمتنا لهم من فعل المعروف لهما، والقول الجميل وخفض جناح الذل رحمة بهما، والتحنن عليهما، والرأفة بهما، والدعاء بالخير لهما، وما أشبه ذلك من الأفعال التي نذب الله عباده أن يفعلوها بهما[3]، وعطف القرءان الكريم دعوة المسلمين إلى ذلك بصراحة، على أن الأمر قضاء إلهي ينبغي مراعاته والاهتمام به؛ قال تعالى: ﴿إِحْسَانًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِيَّاهُ إِلَّا تَعْبُدُوا أَلَّا رَبُّكَ وَقَضَى..﴾[4] فنهى الله عز وجل عن قول أف التي هي بمعنى التضجر للوالدين، فلا ينبغي التضجر ولا الملل منهما، بل ينبغي أن يكون بين يديهما عبدا مطيعا، محسنا لهما بارا بهما؛ والأمر بالإحسان إليهما عام في جميع الأحوال، وخُصصت حالات بلوغ أحدهما أو كليهما الكبر بالذكر، لأنها حالة الضعف وشدة الحاجة، ومظنة الضجر والملل منهما، وضيق الصدر من تصرفاتهما، فهما في هذه الحالة قد عادا في نهايتهما إلى ما كان ولدهما عليه في بدايته، وليس عنده من فطرة المحبة مثل ما عندهما، فكان بأشد الحاجة إلى التذكير بما عليه من تمام العناية بهما[5] فالوالدان يعتنيان بولدهما

[1] -أبو داود، السنن، باب الإجارة، باب في الرجل يُفضل بعض ولده في النحل، (238/11).

[2] -سورة البقرة 83.

[3] - الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ت: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، 271/1 :

[4] --سورة الإسراء 23.

[5] -ابن باديس: مجالس التذكير، دار الرشيد، الجزائر، ط1، 2009م، ج1، ص199.

محبة ومودة، لكن الأبناء قد تنقص محبتهم لوالديهم في مقابل محبتهم لزوجاتهم وأبنائهم، فأمر المولى بمعاملتهم بالحسنى، والتي هي أعلى درجة الحب والود.

قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا...﴾[6]قال العلماء: فأحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان والتزام البر والطاعة له والإذعان، من قرن الله الإحسان إليه بعبادته وطاعته، وشُكره بشكره، وهما الوالدان، فقال تعالى: ﴿ووصينا النسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصيرا﴾[1]، وقال تعالى﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس ل كبه علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاَ﴾[2]

فهذه الحالة هي حالة اختلاف الديانة، الولد مسلم وأحد والديه مشرك أو كليهما ، هل يكون ذلك سببا لعصيانهم والوقوع في حقهم؟؟ لا ، أوجب الله مصاحبتهم بالمعروف وبرهم والقيام بحقوقهم، لكن لا طاعة لهم فيما فيه معصية للرب سبحانه وتعالى.

وفي حالة من حالات التذكير بما قاصاه الوالدان من أجل الولد، يُذكّر الله الأولاد بحالة الوهن والشدة التي تحمّلتها الأم وهي تحمل جنينها بين أحشائها، قال تعالى: (وصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير)[3] فكأنك تذكير بالجميل الذي ينبغي على الأبناء رد شيء منه في حث الأم على وجه الخصوص، فهذا الألم الذي تحمّلته الأم في سبيل ولدها، هو أيضا عليه تحمل شيء من المشقة في سبيل الاعتناء ورعاية الأبوين في حالة الضعف والكبر.

فعلى العموم أمر الإسلام بالإحسان للوالدين، لكن جعل بين الوالدين بعض المفاضلة في القيمة والمكانة، فالأم لها الحظ الأوفر من الحق في مقابل الأب، لذلك عندما جاء رجل إلى رسول الله يسأل عن من أحق الناس بالصحبة، فأجاب صلى الله عليه وسلم: أمك، قال ثم من ؟ قال: أمك، قال ثم من ؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال : ثم أبوك، وكأن الأم لها ثلاثة أرباع من الحقوق، ويبقى الربع الرابع للأب، وقد فصّل بعض العلماء هذه الحقوق الأربع في مقابل المعانات التي عانتها الأم في سبيل رعاية ولدها، فالربع الأول في مقابل ألم الحمل، والربع الثاني في مقابل أم الوضع الولادة، والربع الرابع في مقابل معاناة الرضاع ومتاعبها من تحمل سهر ليال متاعب مراعاة شؤون الرضيع.

إلى جانب ذلك يُعتبر الأولاد هم وأرزاقهم أملاكهم ملك للوالدين، لا يعطيهم صدقة ولا زكاة لأنه مسئول عن حالهما حال العجز، لذلك قال صلى الله لرجل جاء يتأفف عن استغلال أبيه لماله، قال صلى الله عليه سلم: (أنت ومالك لأبيك) ، وكذلك حقهما يبقى لصيقا بالأبناء إلى ما بعد وفاتهما، كما قال تعالى آمرا الأبناء بالدعاء للآباء بعد فاتهما، فقال تعالى: (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) ، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد فقط، بل يتعدى إلى الإحسان لأصدقاء الأبوين؛ جاء رجل من بني

[6] –سورة النساء 36.
[1] –سورة لقمان 14.
[2] –سورة لقمان 15.
[3] – سبق ذكر الآية.

سلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال، يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال: نعم، الصلاة عليهما، الاستغفار لهما، وإيفاء عهودهما من بعد موتهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما)[4]

أما من ناحية المعايشة فالوالدين في الإسلام هم أهل الشورى والرأي، عادة هم الذين يتولون أمور الزواج، وتبقى العلاقة موصولة بهما في حياتهما وبعد مماتهما، وتتأكد وجوب العناية بهما حال كبرهما وعجزهما، وقد عدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من الجهاد، وحتى المجتمع المسلم ينظر للشخص الذي يرمي أبويه في دار العجزة نظرة ريبة واندهاش، ويُعدّ ذلك من أعلى درجات العقوق.

خـــاتمة

من خلال هذا البحث توصلت إلى نتائج، من أهمها:

من ناحية الطرف الأول أي واجبات الآباء اتجاه أبنائهم، فهي عديدة تتداخل تارة بين الديانات الثلاث وتختلف تارة أخرى، وقد حاولت حصر أهمها فيما يلي:

-أن الديانات السماوية كلها أقرّت حقوق واجبات الأبناء الآباء اتجاه بعضهما البعض، حيث أن الوالدان لهما مسؤولية كبيرة اتجاه الأبناء، ربما يمتد أمدها إلى قبل الزواج، حيث شددت الديانة الإسلامية على ضرورة اعتماد الصلاح كأول ركيزة منطلق في اختيار الأزواج لبعضهما البعض، لأن ذلك الصلاح ينعكس أثره على الأبناء تنشئة تربية ورعاية.

-الديانات الكتابية تدعو الآباء للحرص على إنجاب الأبناء، وهو في النظرة اليهودية واجبا دينيا، والأمر ذاته بالنسبة للمسيحية التي يُعتبر العهد القديم مصدرا تشريعيا لها، وفي الإسلام يُعتبر إنجاب الأولاد مقصدا من مقاصد الزواج، واستجابة لأمر الرسول صلى الله عليه سلم في الإكثار من أفراد أمته.

- عند ولادة الأولاد يكون ذلك الحدث حدثا سارا للوالدين والعائلة، فلم يرد في اليهودية كيفية للاحتفاء بهذا الحدث، غير أن الوالد يُلزم بختان ولده الذكر في يم سابعه، أما في الإسلام فما أن يولد المولود حتى يُحنّك ويؤذّن في أذنه، ويُسمى في يوم سابعه وتُذبح عليه عقيقته، ويُدعى والداه إلى ختانه الذي هو سُنّة ، لم يُحدد لذلك وقت محدد.

-في مرحلة الطفولة واجب الآباء العناية والرعاية للأبناء، فواجب الأمهات الرعاية والرضاع والحنان، اجب الآباء الإنفاق بكل أشكاله من سكن وملبس وطعام واجب الحماية والحصانة والأمان.

-دعت الديانات الثلاث دعت الديانات الثلاث إلى وجوب تربية الأبناء تربية دينية طيبة، إن كانت خلفيات التربية تتغير بتغير الديانة التي ينتمي إليها، فيتربون على الصلاة والطاعة منذ الصغر، وإن كانت اليهدية تُلزم الأم بذلك، بينما الإسلام فيُلزم الأبوين بذلك دن استثناء، وقراءة النصوص المقدسة، والتربية على الآداب الدينية، مثل آداب الأكل والجماعة الدينية وأجواء الأعياد والمناسبات الدينية.

[4] –سليمان بن الأشعث: سنن أبي داوود، ج3، ص336.

-تبقى مسؤولية الأبناء على والديهم إلى غاية بلوغ سن الرشد والتكليف، وهم مسئولون عن تربيتهم حسنة كانت أم سيئة، مسئولية دنيوية يتحملون تبعاتها، ومسئولية أخروية—بالنسبة للإسلام- يترتب عليها جزاءا أو عقابا.

أما عن واجبات الأبناء اتجاه آبائهم فيمكن إجمالها فيما يلي:

-في النصوص الدينية المقدسة للديانات الكتابية لاحظنا أن الرب تعالى يوصي بالوالدين مباشرة بعد أمره بتوحيد الله وعبادته، أي جعل مقامهم مباشرة بعد مقام الربوبية، والترتيب هذا ليس من باب السجع الأدبي أو المجاملة، ولكنه بيان لقدر ومقام ومكانة الوالدين، اللذين يعتبر الإحلال بمقامهما وقدرهما إخلالا بمقام الربوبية والذات المقدسة.

-طاعتهم واحترامهم والانقياد لأوامرهم ونواهيهم، وقد ضرب الأنبياء أفضل الأمثلة في ذلك، حيث نجد العهد القديم والقرءان الكريم، زاخرين بقصص أنبياء كان لهم ذكر حسن طيب مع والديهم، مثل عيسى عليه السلام، وإبراهيم مع إبنيه إسماعيل وإسحاق، وأبناء يعقوب عليه السلام مع أبيهم.

-طاعة الوالدين لها عواقب دنيوية أخروية، يمكن أن يقتصر ثوابها الدنيوي على البركة في الرزق وطول العمر، والسعادة في الحياة، كما يمكن أن يبرك أبناؤك كما بررت والديك، حيث أن الجزاء من جنس العمل، كما أن إراشادات الوالدين تقي أبنائهم من الوقوع في الشرور والآفات والضياع، فيكون طائع والديه موفقا مسددا، أما الجزاء الأخروي، فنجد الديانة الإسلامية فقط التي توليه كبير اهتمام، حيث أن البار بالوالدين يكون جزاؤه الفوز بالجنة، أما العاق للوالدين فجزاؤه العذاب الأليم، حيث أن عقوق الوالدين من الكبائر التي تستوجب السياق لنار جهنم وبيس المصير.

-بر الوالدين في الإسلام يمتد ويستمر حتى بعد وفاة الوالدين، حيث ينبغي على الأبناء الصدقة على والديهم والدعاء لهم وإكرام صديقهم والمحافظة على صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.

قائمة المصادر والمرجع

-الكتاب المقدس
-القرآن الكريم
-البخاري: صحيح البخاري، مصر: دار البيان العربي، ط1، 2005م.
-أحمد ابن حنبل: المسند، القاهرة، مصر: ط1، دار الحديث، ط1، 1995م.
-أبو داود: السنن، ت: شعيب الأناؤوط،، دمشق، سورية، دار الرسالة العلمية، 2009م.
-البيهقي: السنن الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
-الترمذي: الجامع الكبير، ت: بشار عاد معروف، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م.
- مجموعة من كبار الباحثين: قاموس الكتاب المقدس
- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، القاهرة، مصر
- الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ت: بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة.
- ابن باديس: مجالس التذكير، الجزائر، ط1، دار الرشيد، ط1، 2009م
-عبد الوهاب المسيري، الفردوس الأرضي، بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ط1، 1979م.
-كريم دوز: الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الوثنية، مصر: دار الكتاب، ط1، 2016م.
-روبن فايرستون: ذرية إبراهيم، ت: عبد الغني بن إبراهيم، منشورات معهد هارويث للتفاهم الدلي للأديان.
- محمد مبروك أبو زيد: مصر الإسرائيلية-التبادل الحضاري بين مصر وإيجيبت.
- البابا شنودة الثالث: الوصايا العشر في المفهوم المسيحي، ط،2004،1980م
-وليم أدي، الكنز الجليل في تفسير الانجيل، بيروت، لبنان: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، 1973م.